بسم الله الرحمن الرحيم

بر الوالـديـن

الحمد الله

فيا أيها الناس : جبلت النفوس على حب من أحسن إليها ، وتعلقت القلوب بمن كان له فضلا عليها ، وليس أعظم إحساناً ، ولا أكثر فضلاً بعد الله سبحانه وتعالى من الوالدين .

حيث قرن الله حقهما بحقه ، و شكرهما بشكره ، ووصى بهما إحساناً بعد الأمر بعبادته ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾.

لله نعمة الخلق والإيجاد ، وللوالدين نعمة التربية والإيلاد . يقول ابن عباس رضي اله عنهما : ثلاث آيات مقرونات بثلاث : لا تقبل واحدة بغير قرينتها ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه . ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ فمن صلى ولم يزك لم يقبل منه . ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه .

فرضى الله في رضى الوالدين ، وسخط الله في سخطهما .

أيها المؤمنون : إحسان الوالدين عظيم ، وفضلهما سابق ، تأملوا حال الصغر ، وتذكروا ضعف الطفولة ﴿رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾ حملتك أمك في أحشائها تسعة أشهر ، وهنا على وهن ، حملتك كرها ، ووضعتك كرها ، ولا يزيدها نموك إلا ثقلا وضعفاً . وعند الوضع رأت الموت بعينيها . و لما بصرت بك سرعان ما نسيت آلامها ، وعلقت فيك جميع آمالها . رأت فيك بهجة الحياة وزينتها ، ثم شغلت بخدمتك ليلها ونهارها ، تغذيك بصحتها ، طعامك درها . وبيتك حجرها . ومركبك يداها وصدرها ، تحيطك وترعاك ، تجوع لتشبع أنت ، وتسهر لتنام أنت ، فهي بك رحيمة

، وعليك شفيقه . إذا أصابك مكروه استغثت بها ، تحسب كل الخير عندها ، وتظن أن الشر لا يصـل إليك إذا ضمتك إلى صدرها ، أو لحظتك بعينها .

فكم ليلة باتت بثقلك تشتكي *** لها من جواها أنة وزفير

وفي الوضع لو تدري عليها مشقة *** فمن غصص منها الفؤاد يطير

وكم غسلت عنك الأذى بيمينها *** وما حجرها إلا لديك سرير

وكم مرة جاعت وأعطتك قوتها *** حناناً وإشفاقاً وأنت صغير

أما أبوك فإنه يكد ويسعى ، ويدفع عنك صنوف الأذى ، ويتنقل في الأسفار . يجوب الفيافي والقفـار ، ويتحمل الأخطار ، بحثاً عن لقمة العيش ، ينفق عليك ، ويصـلحك ويربيـك . إذا دخلـت عليـه هش ، وإذا أقبلت إليه بش ، وإذا خرج تعلقت به ، وإذا حضر احتضنت حجره وصدره ، هذان همـا والداك ، وتلك هي طفولتك وصباك ، فلماذا التنكر للجميل ؟ وعلام الفظاظة والتنكيـل ، وكأنـك أنت المنعم المتفضل ؟! .

أخرج الشيخان وغيرهما واللفظ لمسلم ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : أقبل رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أبايعك على الجهاد والهجـرة أبتغـي الأجـر . قـال : «فهل من والديك أحد حي» ؟. قال : نعم بل كلاهما . قال «فتبتغي الأجر من الله» قـال: نعـم قـال: «فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما».

أيها المسلمون : إن حق الوالدين عظيم ، ومعروفهما لا يجـازى ، وإن مـن حقهـما المحبـة والتقـدير ، والطاعة والتوقير ، والتأدب أمامهما ، وصدق الحديث معهما ، تحقـق رغبـتهما في المعـروف ، وتنفـق عليهما ما استطعت : «أنت ومالك لأبيك» . ادفع عنهما الأذى ، فقد كانـا يـدفعان عنـك الأذى . لا تحدثهما بغلظة أو خشونة أو رفـع صـوت . جنـبهما كـل مـايورث الضـجر : ﴿لاَ تَقُـل لَّهُـمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا﴾ تخير الكلمات اللطيفة ، والعبارات الجميلة ، والقول الكريم .

تواضع لهما ، واخفض جناح الذل رحمة بهما ، وطاعة وحسن أدب ، لقد أقبلا على الشيخوخة والكبر ، وتقدما نحو العجز والهرم ، بعد أن صرفا طاقاتهما في تربيتك وإصلاحك . تأمل قول ربك : ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الكِبَرَ﴾ إن كلمة ﴿عِندَكَ﴾ تدل على معنى التجائهما واحتمائهما وحاجتهما ، فلقد أنهيا مهمتهما ، وانقضى دورهما ، وابتدأ دورك وهاهي مهمتك : ﴿فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً﴾ قال رجل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : إن لي أماً بلغ منها الكبر أنها لا تقضي حاجتها إلا وظهري لها مطية ، وأوضؤها وأصرف وجهي عنها ، فهل أديت حقها ؟ قال : لا . قال : أليس قد حملتها على ظهري ، وحبست نفسي عليها ؟ فقال عمر : إنها كانت تصنع بك ذلك وهي تتمنى بقاءك ، وأنت تصنعه وأنت تتمنى فراقها ، ولكنك محسن ، والله يثيب الكثير على القليل .

الخطبة الثانية :

فإن حق الوالدين عظيم ، ولكن عليك بالدعاء لهما في حال الحياة وبعـد المـمات اعترافـاً بالتقصـير ، وأملاً فيما عند الله ﴿رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾ .

أيها المسلمون : إن العار و الشنار ،والويل والثبور ، أن يفجـأ الوالدان بالتنكر للجميل ،كانا يتطلعان للإحسان ، ويؤملان الصلة بالمعروف ، فإذا بهذا المخذول ، قد تناسى ضـعفه وطفولتـه ، وأعجـب بشبابه وفتوته ، وغره تعليمه وثقافته ، وترفع بجاهه ومرتبته ، يؤذيهما بالتأفف والتـبرم ، ويجاهرهمـا بالسوء وفحش القول ، يقهرهما وينهرهما ، يريدان حياته ، ويتمنى موتهما ، وكأني بهما وقد تمنيا أن لو كانا عقيمين . تئن لهما الفضيلة ، وتبكي من أجلهما المروءة .

ياأيها الجاحد : هل حينما كـبرا فاحتاجـا إليـك جعلـتهما أهـون الأشـياء عليـك ؟! قـدمت غيرهمـا بالإحسان ، وقابلت جميلهما بالنسيان ، شق عليك أمرهما ، وطال عليك عمرهما . أما علمت أن مـن بر بوالديه بر به بنوه ، ومن عقهما عقوه ، ولسوف تكون محتاجاً إلى بر أبنائك ، وسوف يفعلون معك كما فعلت مع والديك ، وكما تدين تدان ، والجزاء من جنس العمل . يقول عليه الصـلاة والسـلام : «ما من ذنب أجدر أن تعجل لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغـي وقطيعـة الرحم» . وإن من أكبر الكبائر الشرك بالله وعقوق الوالدين ، عن عبد الله بن عمـر رضي الـه عـنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ثلاثة لا ينظـر الله إلـيهم يـوم القيامـة العـاق لوالديـه ، ومدمن الخمر ، والمنان عطاءه . وثلاثة لا يدخلون الجنة العاق لوالديـه ، والـديوث ، والرجلـة مـن النساء».

فاتقوا الله يرحمكم الله واعلموا أن بر الوالدين فريضة لا زمة ، وأمـر محـتم ، وهـو سـعة في الـرزق ، وطول في العمر ، وحسن في الخاتمة . عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «من سره أن يمد له في عمره ، ويوسع له في رزقه ويدفع عنه ميتة السوء فليتق الله وليصل رحمه» .

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً * رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً﴾.

فاتقوا الله أيها المؤمنون ، واعلموا أن من البر أن يتعهد الرجل أصدقاء والديه ، ويحسن كرامتهم ، ويفي بحقهم ، جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : هل بقى علي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد وفاتهما ؟ قال صلى الله عليه وسلم : «نعم الصلاة عليهما ، وإنفاذ عهدهما من بعدهما ، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما ، وإكرام صديقهما من بعدهما».

قال ابن الجوزي : أما بعد فإني رأيت شبيبة من أهل زماننا ، لا يلتفتون إلى بر الوالدين ، ولا يرونه لازماً لزوم الدين ، يرفعون أصواتهم على الآباء والأمهات ، وكأنهم لا يعتقدون طاعتهم من الواجبات ، ويقطعون الأرحام التي أمر الله بوصلها في الذكر ، ونهى عن قطعها بأبلغ الزجر ، وربما قابلوها بالهجر .